الفصل الاول

الكوخ الخشبي

كان يا ما كان في احدى المرتفعات الجميلة والواسعة، التي تقع في اسكتلندا تعيش فتاة صغيرة تدعى (اليزا) مع والديها في كوخ خشبي صغير جميل داخل سور مصنوع من الخشب يحيط به، تقع خلف الكوخ غابة اشجار الصنوبر الكثيفة ينحدر من خلالها نهر يشق طريقه من جانب المرتفع وينتهي بمستنقع ساحر خلاب يخطف اللب اسفل من الكوخ، ومن الجانب الاخر هنالك مساحة واسعة مخصصة للزراعة، زرع فيها البروكلي.. اليقطين.. البطاطا.. الطماطم.. الخيار... الخ،

كان "الوقت لا يزال مبكراً على الحصاد والمحصول نصف ناضج تقريباً"، هذا ما اخبر به والد اليزا زوجته، فكانت الزراعة والحصاد من اختصاصه،

خلف الكوخ مباشرة توجد حظيرة لتربية الحيوانات بوابتها خشبية ذات مصراعين ومقابض معدنية تغلق بلوح خشبي طويل من الخارج، امام باب الحظيرة توجد عربة حصان خشبية دواليبها كبيرة وهي بحالة جيدة جداً، قام والد اليزا بصناعتها من اخشاب جذوع اشجار الصنوبر في الغابة، مغطاة بالكامل بقماش لحمايتها من الامطار، كان والد اليزا من النادر ما يستخدمها وهذا ما سبب بقائها بحالتها الجيدة،

داخل الحظيرة توجد مجموعة من الحيوانات الاليفة وتتألف من (حصان بَقّع موسوم ببقع بيضاء وبنية وكلب اسكتلندي (تيرير) قمحي اللون وقطة بيضاء صغيرة الحجم ولطيفة واثنين من الخنازير الوردية الاليفة وارنب ابيض ذي عينين حمراوين وخراف عددها اربعة ونصف دزينة من الدجاج الابيض ونصف دزينة من البط الابيض ودزينة من الحمام الفضي)،

وزعت الحيوانات الاليفة كلها داخل حجرات على جانبي الحظيرة بشكل منظم وفي منتصف الحظيرة المعالف الخاصة بكل حيوان بالإضافة الى القش في نهاية الحظيرة على شكل كومة كبيرة وبجانبه قش لم يفرد بعد على شكل مكعبات مربوطة بحبال بجانب الكومة وعربة دفع صغيرة ومجرفة قش ركنت على الحائط، وكان من ضمن الحيوانات داخل الحظيرة انواع غريبة عنهم لم تكن لها محاجر بإعتبارهم دخلاء عليها وهم فأرين صغيرين رماديين يقطنان داخل جحر صغير اسفل موضع القش.. ضفدع اخضر صغير ربما انسل الى الحظيرة وجاء من المستنقع القريب من الكوخ لغرضٍ ما.. واخيراً سلحفاة عجوز معمرة ايضاً جاءت من المستنقع،

استيقظت اليزا على صوت البط في احدى الصباحات، حيث كانت من عادة والدة اليزا هي الاستيقاظ مبكراً وإخراج الحيوانات الأليفة مجموعة تلو الاخرى واطعامها امام الكوخ، كان البط يمد رأسه نحو مصدر الطعام مطالباً بالمزيد بعد ان نفذ الطعام من عند والدة اليزا وهمت بإدخال البط داخل الحظيرة،

تثاءبت اليزا في سريرها الصغير وشعرت بأن هنالك ثقل في عينيها الزرقاوان وذلك بسبب تأخرها في النوم الى منتصف الليل، فهي تعودت على القراءة الى وقت متأخر منه،

نهضت من سريرها وهي تقول "ياللهول، لقد تأخرت في موعد نومي ليلة البارحة، لا استطيع ان افتح عيني! ولكن كان كتاب البارحة يستحق العناء"

كانت اليزا دائما ما تلوم نفسها حول اكتشافها للقراءة من قبل ولكنها لم يكن سنها اليوم سوى عشرة اعوام فقط وهي صغيرة على اخبار نفسها بذلك،

انسلت اليزا من خارج فراشها و توجهت نحو الاسفل وشرعت بغسل وجهها بالماء البارد بعد ان القت تحية الصباح على والدها الذي كان يجلس على كرسيه الخشبي بجانب الموقد المستعر مستمتعاً بقراءة جريدته اليومية التي جاءته منذ الصباح الباكر ولا تزال ساخنة وطازجة،

"صباح الخير ابي"

"صباح الخير صغيرتي"

"اين امي؟"

كانت هذه المحادثة دائماً ما تتكرر بالنسبة لأبيها وعلى الرغم من ذلك فوالد اليزا لم يسأم منها ابداً،

"كالمعتاد اليزا فهي امام المنزل تقوم بإطعام الحيوانات"

ركضت اليزا نحو الباب الخارجي وتناولت حذائها البني من جانب الباب وبصورة تلقائية ارتدته مسرعة نحو والدتها ولم تنسى قبعتها الصوفية،

خرجت مليئة بالسعادة وقالت،

"صباح الخير امي"

"صباح الخير عزيزتي"،

استدارت والدتها اليها ونظرت نحوها وجهها وعينيها التي بالكاد استطاعت اليزا ان تفتحهما بصورة طبيعية،

"من المؤكد انكِ لم تنامي جيداً ليلة البارحة وكل ذلك بسبب الكتب التي تقرئينها أليس كذلك؟ اوه! انظري الى وجهك ما احال السهر به بالكاد تستطيعين فتح عينيكِ"

"اسفة ماما! ولكن كتاب البارحة كان مشوقاً جداً ولم اتمكن من النوم الى ان انهيته"

"ستقتلين نفسك لا مناص في ذلك!"

"ماما قراءة الروايات هي التي تجعلني استمر في العيش، لا تخافي لن تقتلني! فهي غايتي ولن اتمكن من العيش من غير هذه الغاية"

واردفت تقول،

"علاوة على ذلك فأنني يجب ان اعيش لمدة اطول، مما يتيح لي ان اقرأ عدد كثير من الكتب وهذا يجعلني سعيدة جداً"

"ولكن عزيزتي اشعر بأنكِ تمرضين شيء فشيء وانا قلقة عليكِ كثيراً، وأيضاً القراءة ستؤثر على شخصيتك في المستقبل أليس ما اقوله صحيحا؟"

"اجل ماما ولكن اجمل ما في القراءة انني سأتقمص شخصية الكاتب او الشخصيات داخل الكتاب اثناء قراءتك او بعد الانتهاء ويعكس ذلك على شخصيتي حتى لو كان خلال زمن قصير، سأعيش حياة شخصيات كثيرة وستمدني بحكمة لم اتخيلها يوماً وأيضاً فهي تساعدني على اكتشاف حياة جديدة واسافر الى اماكن لا يسعني السفر اليها كل هذا وانا جالسة في غرفتي وعلى سريري"

اطرقت اليزا برأسها نحو الارض وتغيرت نبرت صوتها وجنح للهدوء بعد ان كانت متحمسة في حديثها وقالت،

"فعلاً هنالك بعض الكتب عند قراءتها تجعلني امر في اوقات عصيبة"

استغلت والدة اليزا الموقف واجابتها،

"بالطبع هذا ما اتحدث عنه"

ولكن سرعان ما عادت اليزا الى طبيعتها المرحة وقالت،

"لا يهم فهنالك الكتب الاكثر تشويقً ومتعة وسأكتشفها اذا واصلت المداومة على القراءة، فالقراءة احتراف نتقنه بالمداومة عليه تدريجياً"

"كفاكِ حديثاً عن الكتب وهلمي لأعد لكم الفطور"

"ولكن سأتناول شيء خفيف على المعدة لأنني اعتقد انه كلما ملأت معدتي قل استيعابي للقراءة! الا تظنين ذلك ماما؟"

"ياللمصيبة! هذه الكائنة لا توقف حديثها عن الكتب"

"سأتوقف شريطة ان اقرأ لك رواية البارحة فهي مشوقة جداً، وانا احب ان اقرأ لأحد ما بصوت مرتفع ويجعلني سعيدة ايضاً"

"لا بأس عزيزتي هيا لندخل المنزل"

تناولوا الفطور سوية وجاء وقت الوفاء بالوعد وبجانب الموقد قرأت اليزا رواية البارحة بصوت مرتفع على مسامع والديها مما اصاب والدة اليزا بالضجر القاتل.

***

الفصل الثاني

الحظيرة العجيبة

اقبل الليل مرخياً ستارته السوداء على ارجاء المرتفع وكانت الليلة دامسة الظلام ونجوم لامعة تتلبد في كافة انحاء السماء والقمر مكتمل ولكن لونه لا يبدوا كالعادة فلونه قرمزي ومعالمه واضحة تماماً للعين المجردة، لاحظت اليزا ذلك من نافذة غرفتها المستديرة في علية الكوخ، اما الجو فصافي ومعتدل جداً مقارنة بباقي الايام فكما تعلمون وقت الحصاد سيحين خلال مدة قصيرة، جلست اليزا موسدة بوسادتها بثوب النوم الابيض الذي تحب ان ترتديه اثناء هذا الوقت الذي هو من افضل الاوقات لديها على الاطلاق، فهو وقت القراءة قبل النوم، مسكت روايتها الجديدة وهي للكاتب (مارك توين) ١ بعنوان (مغامرات توم سوير)، اقتنته مؤخراً هو ورواية (بوليانا) ٢ لأنها ظنت انها كتب خاصة بالأطفال وهي متشوقة لقراءتها بعد ان قرأت العنوان وفي بدايته (مغامرات) وهذه الكلمة بالذات ما ترضي غريزتها نحو القراءة وتفتتن بها الى ابعد حدود الفتنة، بدأت رحلتها مع الكتاب ولم تتخيل نفسها حين وصلت الى منتصف الكتاب وهي حالمة وغارقة في تفاصيلها لا تعلم كم من الوقت استنزفته في القراءة واصبحت كأنها جزء لا يتجزأ من شخصياتها ولم تكن تشعر بالضجر وخاصة عندما يكون الكتاب جيداً بالنسبة إليها، لم يكن شيء ليجعلها تعدل عن القراءة ورفع عينيها عن الكتاب لولا سماعها لضجيج خلف المنزل ومشادة كلامية لم تتمكن من معرفة مصدره، اطبقت الكتاب ووضعته بين قدميها الممددتين اسفل غطائها وارهفت السمع لعلها تتمكن من معرفة ما يدور من حديث، ولولا انها تبينت ان مصدر الصوت جاء من خلف الكوخ لعلمت ان هذا المشادة جاءت من مصدر مألوف لها وهو والديها، وجهت نظرها نحو النافذة وعلمت ان الوقت ربما هو منتصف الليل، انسلت خارج فراشها وتوجهت نحو ثيابها، فمن عادة اليزا ان لكل مكان ثياب خاصة فثياب النوم تختلف عن ثياب الخروج وداخل المنزل،

ارتدت قميصها الابيض ذي الاكمام الواسعة والدانتيلا على جهة الصدر ولا يمكنها ان تنسى ربطة عنقها الحمراء وفستانها الذي يصل الى فوق من ركبتيها ذي المربعات الحمراء المحددة بخطوط نيلية و ارتدت جواربها الطوية السوداء التي كانت تحبها ونزلت نحو الاسفل على رؤوس اصابعها، فلم تعد تستطيع ان تمنع نفسها من معرفة مصدر الصوت والضجيج الذي يحدث خارج المنزل وأيضاً كلمة (المغامرات) التي قرأتها على رواية (مارك توين) ومشاغبة بطل الرواية (توم سوير) وما يفعله من مغامرات كل هذا جعل من اليزا تتقمص شخصية توم سوير المشاغبة وتتجرأ ان تخرج وتنسل من المنزل في وقت متأخر من الليل متتبعة اثره وان تقوم بشيء مماثل ربما مغامرة من مغامراته الجريئة، على الرغم من ان اليزا لم تشعر بالضجر في حياتها الا انها لم يكن لديها شقيق او شقيقة لتعيش معها المغامرات التي تشعر بها في دخيلة نفسها والتي تتوق الا ان تفصح عنها لأحد ما ولكنها كانت تشعر بالسعادة دوماً،

عند نزولها توجهت ببطيء نحو باب المنزل لكي لا توقظ والديها من نومهما اخذت تحدث نفسها، " كم هو مبهج للنفس ان نعيش في عزلة"

كانت تعلل نفسها بأمل وكان الامل يفتقر الى ان يعيش على ارض واقعها يبدو انها تقنع نفسها بحديثها، بالتأكيد ان الامل موجود بالنسبة اليها ولكن لا تعلم انها تتفاءل لا اكثر وان الامل في حقيقة الامر متأرجح فأن اصابت هدفها شعرت بالسعادة ولكن بشكل مؤقت وان اخطأت حينها ستشعر بخيبة الأمل،

قبل خروجها من باب المنزل استدارت لتتأكد من ان والديها ما يزالان نائمين، "الكوخ في هدوء مطبق وساكن سكون الموتى"، هذا ما حدثت اليزا به نفسها، التفتت نحو باب الخروج وارتدت حذائها البني الذي صنعه والدها من جلد الابقار الذي وضع بجانب الباب من الداخل وقبعتها السوداء التي نسجت من الصوف،

استقبلت اليزا الهواء الطلق خارج المنزل وهي غير مدركة لماذا خرجت ولم تفكر خلال مرورها اسفل من المنزل لحين خروجها ما هو المغزى من خروجها اصلاً، بعد ان استنشقت الهواء عميقاً وحين خرج الهواء من رئتيها تذكرت ما هو سبب خروجها الان، وفي هذه اللحظات اخذت تسير ببطيء شديد كاللص الذي يود ان يسطوا على منزل متوجهة الى خلف الكوخ ناحية الحظيرة لأنه يبدو ان مصدر الصوت كان ينبع من هنالك و في كل مرة تقترب من الحظيرة فأن الصوت يصبح اقوى من السابق، في هذه الاثناء لم تكن اليزا تفكر في شيء فقلبها يضخ الدم بقوة واصبح صدرها يعلو ويهبط كلما اقتربت ناحية الحظيرة واستحالت حدقتا عينيها الزرقاوان بلون البحر كبيرة من شدة الخوف اما وجهها الشاحب اصبح اكثر شحوباً من ذي قبل،

لم تكن اليزا قد مرت بمثل هذه التجربة من قبل ولا خرجت في مثل هذا الوقت المتأخر طوال حياتها ولكن كان تأثير مغامرات توم سوير قد احدثت مفعولها بقوة،

وصلت أخيراً ووجهها ناحية باب الحظيرة مسترقة السمع،

اختفت الجلبة على نحو مفاجئ، هدئ نبض قلبها ولكنها لا تزال تشعر بالخوف من عودة الاصوات مرة اخرى،

فكرت اليزا بأن عليها ان تشجع نفسها للولوج داخل الحظيرة رفعت يديها نحو المقابض المعدنية لتزيل اللوحة الخشبية الطويلة وقبل ان تلمسها صرخ صوت جهوري وقال،

"اسوء ما يمكن ان نمر به من مواقف محرجة، هي عندما نصل الى حقيقة الامر ونقف متفرجين ومكتوفي الايدي"

افزعها الصوت الذي كان ينخر ويزبد وارتدت من جراءه نحو الخلف بنحو ثلاثة اقدام واخذ قلبها يخفق بقوة مرة اخرى، فالصوت قريب كفاية من باب الحظيرة ليحدث تأثيره على الفتاة الصغيرة،

"هل انا احلم؟! ما هذا الصوت الذي سمعته؟"

تحدثت اليزا بصوت خافت مع نفسها وكفها الايمن على فمها لكي تمنع اي صرخة ان تخرج خلال هدوء الليل يمكن ان يوقظ والديها من نومهما، بعد ان نهى الصوت الغريب جملته حل صمت مطبق كأنه ينتظر احدً ما ان يرد عليه وبالفعل جاء الرد على الصوت من الداخل،

"فعلاً.. فعلاً.. فعلاً... "

جاء الرد على ثلاث اصوات مختلفة ترددت واحد تلو الآخر، تمكنت اليزا ان تميزها جميعاً على انها ليست اصوات لأنسان وانما شيء غير ذلك تماماً، ولكنها لم تكن تشك ولو للحظة من الزمن ان تكون هذه الاصوات صادرة من حيواناتهم الأليفة لأنها تعتقد ان الانسان لا يستطيع ان يفهم كلام الحيوانات وان الحيوانات لا تستطيع ان تتحدث مثل الانسان فقط في الاساطير التي كان يخبرها والدها بها بأنه كان هنالك شخص واحد فقط يعيش في القرون السابقة هو من يستطيع ان يفهم ما تتكلم به جميع الحيوانات، واخبرت نفسها،

"مستحيل كيف للحيوانات ان تتحدث، ربما هذه الحظيرة عجيبة، لابد ان اعرف ماذا يحدث في الداخل"

تشجعت اليزا رفعت اللوح الخشبي، وازالته من الباب، امسكت المقبضين معاً، سحبتهما وفتحت الباب على مصراعيها بقوة وبشكل مفاجئ خرج الهواء من الداخل معبأ برائحة القش وفضلات الحيوانات يلفح وجه اليزا وأدى الى تطاير شعرها الاحمر المتموج من تحت قبعتها الصوفية،

لم ترى شيئاً للوهلة الأولى ولكن بعد ثواني قليلة استقرت رؤيتها وانسل ضوء القمر القرمزي داخل الحظيرة وعلى وجوه الحيوانات التي استدارت جميعها ناحية الباب

لتتمكن من معرفة من هو الزائر الذي قدم في مثل هذا الوقت المتأخر، تفحصت اليزا وجوه الحيوانات بصورة تلقائية ونظرت نظرة استغراب مستفهمة عما يجري في الداخل، بعد ذلك تقدمت خطوتين بسرعة واصبح رأسها بجانب فم الحصان الذي كان قريباً من باب الحظيرة على جهة اليمين وشرع الحصان بالمبادرة بالحديث وقال،

"ماذا تريدين يا صغيرة في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل؟ هل جئت لتقدمي لنا المزيد من الطعام؟"

تمكنت اليزا ان تعرف من المتحدث من الحيوانات بسبب اللعاب الذي ملئ وجهها من جهة اليمين، استدارت اليزا برأسها نحو الحصان بصورة بطيئة وهي ترتجف من قمة رأسها الى اخمص قدميها واختلط العرق المتصبب من صدغيها مع لعاب الحصان، وحينها ثبت ما كانت تستغربه منذ دقائق قليلة وتأكدت اليزا انها داخل حظيرة حيوانات عجيبة.

***

الفصل الثالث

الحصان البَقّع

تفحصت اليزا وجه الحصان عن كثب رافعة رأسها ناحيته لتتأكد من انه هو المتحدث إليها، ولاحظت شفتيه المتحركتين بشكل دائري وظهور اسنانه الامامية الكبيرة البيضاء التي يتخللها مخلفات العشب الاخضر المتبقية من وجبته الاخيرة،

حل الهدوء لفترة من الزمن واليزا مازالت متسمرة في موضعها امام الحصان الناطق وبعدها كسرت اليزا حاجز الصمت وبادرت بكلام متكسر على نحو ما وبإستغراب شديد،

"ك كي.. كيف تستطيعون الكلام!!؟"

اجابها الحصان بتهكم وقال،

"ولم لا نتكلم؛ أيبدو ذلك غريباً بالنسبة اليكِ، ربما نحن من يجب ان يستغرب! كيف لك ان تتكلمي؟"

شعرت اليزا بالحيرة من امرها ولم تصدق ما سمعته اذنيها،

ربما كان الحصان على حق من يعلم حقاً ماذا يدور في خلد الحيوانات وكيف تفكر وكيف تتعامل مع بعضها البعض، فلكل كائن لغته وطريقة تواصله مع من هم من بني جنسه،

اجابت اليزا مصححة ما تقصده من وراء تساؤلها،

"اانا اقصد كيف استطيع سماع حديثكم!؟ ماذا يحدث هنا؟"

اجابها الحصان وهو لا يزال يدور بشفتيه المتدليتين وقال،

"يمكنكم سماعنا ولكن هذا لا يعنيكم لأن هذا الشيء لا يعود عليكم بفائدة تذكر، انتم فقط تقومون باستنزاف قوانا بركوبنا والقضاء علينا، وفي المقابل لا تعطونا اقل حقوقنا المشروعة وهي اطعامنا بشكل جيد، انا اتعجب منكم كيف تأخذون ولا تعطون؟"

شعرت اليزا بالاستياء حول ما قاله الحصان واخذت تحدث نفسها،

"لماذا يحدثني الحصان على هذا النحو؟ ، أليس هنالك انسان جيد وآخر سيء، لماذا يتحدث عن الاثنين ملقياً اللوم على الجميع؟"

وقررت ان تتحدث بحرية ومن دون خوف بعد ان تعودت على الأمر،

"لماذا تقوم بألقاء اللوم على الجميع؟ وانت لم تعرف طبيعتي بعد، ربما اكون انسان جيد"

"اعلم ان طبيعة الانسان واحدة وغايته من الحيوانات واحدة ايضاً، أليس ما أقوله صحيح؟"

"وما بالك بمن يعتنون بالحيوانات داخل بيوتهم؟"

"وما هو الجديد في الأمر؟ فغايتهم ايضاً المتعة والتسلية وتزجية الوقت وبالتالي استنزاف طاقتنا في نهاية الامر"

"اف! كم انت عنيد ايها الحصان البَقّع"

"سأبقى كذلك ما دمتم لا تقدمون لنا المزيد من الطعام وجميع من في الحظيرة أيضاً سيفعلون ما اشير به اليهم"

"وهل هذا السبب وراء ما انتم به من مشادات في ما بينكم؟ لقد ازعجتموني جداً حتى انني لم اتمكن من القراءة بهدوء"

"لا تقلقي سنبقى هكذا وربما سنرتكب اشياء اخرى ربما ستجعلكم في قلق دائم"

بعد ان سمعت اليزا ما قرره الحصان وما سيقدمون عليه في المستقبل قررت ان تتصرف وتفعل شيء ما بشأن هذا الامر وتوقفهم عند هذا الحد ولكن ماذا عساها ان تفعل؟!،

حدثت اليزا نفسها وقالت،" ربما سأخبرهم بقصة العجوز الساحرة لكي يعدلوا عن فكرتهم الشريرة"

لم يخبرها الحصان بفكرتهم وهذا ما جعل اليزا تقدم وتتجرأ على اخبارهم بقصة العجوز الساحرة وظنت انهم سيصدقون قصتها الساذجة لأنهم ليسوا سوى حيوانات لا عقول لها ومن الممكن ان يشعروا بالخوف والرهبة،

"اسمعوا جميعاً! ربما لا احد منكم سيصدقني ولكن ما سأخبركم به هو محض حقيقة"

تحدثت مشيرة بأصبعها بوجه الحصان لأنه الوحيد من بين جميع حيوانات الحظيرة من قام بالاحتجاج ولم تسمع احد غيره يتحدث إليها مطلقاً،

"سأحكي لكم ماذا يوجد في غابة اشجار الصنوبر!"

"ماذا يوجد يا ترى؟" اجابها الحصان بتهكم غير مبالي بما ستقوبه البتة،

خفضت اليزا صوتها لتوهم الحيوانات ان ما ستتكلم عنه مخيف جداً ولا يجوز ان يسمعه اي احد غيرهم"

"هنالك عجوز ساحرة وشريرة في غابة اشجار الصنوبر خلف المرتفع وهي تقوم بتحويل الحيوانات الى انسان مثلي بعصاها السحرية ان قاموا بالتذمر على طعامهم الذي يقدم لهم وانا اخاف ان تسمعكم تتحدثون عن هذا الامر وتحولكم جميعاً من دون استثناء"

اصبحت وجوه الحيوانات متبلدة محدقين ب اليزا وحديثها الساخر الذي لا يصدقه احد،

اطلق الحصان ضحكة مجلجلة وبعدها اتبعه بقية حيوانات الحظيرة، صم ضحكهم اذنها وتضخم بصدى الحظيرة،

"من المؤكد انك تسخرين منا ايتها الصغيرة الساذجة، ولكن هل تعلمين ان حكايتك مخيفة جداً على نحو ما، فأنا لا اتطلع الى ان اكون انسان فأن اصبح انسان! هذا اخر شيء ممكن ان افكر فيه، او ربما سأقدم على الانتحار او ادخل في مسابقة للخيول واتعمد ان الوي كاحلي اثناء السباق ويتم اعدامي بعيار ناري في جمجمتي"

اجابته اليزا،

"يا لك من حيوان ساخر"

"لست ساخر ولكنها الحقيقة والدليل على كلامي هو انت! هل تتقبلي ان تتحولي الى حصان او ضفدع او كلب او اي حيوان آخر؟ بالطبع ستكون اجابتك النفي ولكننا افضل منكم بكثير! ففي كثير من الاحيان نحاول جاهدين ان نصبح اشرار ولكن نفشل في كل مرة"

"ولكن لكل كائن طبيعته التي يسير على خطاها الا تظن ذلك؟"

اجابها الحصان،

"تحاولون جاهدين ان تميزوا انفسكم عن الحيوانات والسبب يعود الى اننا نسير وفق طبيعتنا وهذا واضح فعندما نجوع نأكل الطعام وعندما نعطش نشرب الماء وعندما نود ان نتكاثر! نتكاثر هذا ما يميزنا عنكم اما انتم فلا تسيرون وفق طبيعتكم وتجدون صعوبة في ذلك، فإذا اردتم ان تكونوا الكائن الذي انتم عليه يجب ان تسيروا وفق طبيعتكم لا شيء غير ذلك"

شعرت اليزا بالتعاطف مع الحيوانات الأليفة فكانت على حق في ما تقوله بشكل كامل،

قالت اليزا وهي تشعر بالحزن،

"ربما ما تقوله على حق ايها الحصان وربما انتم افضل منا بكثير"

هذا ما شعرت به اليزا من حديثها مع الحصان البَقّع".

***

الفصل الرابع

الكلب تيرير قمحي اللون

استعادت اليزا رباطة جأشها بعد ان شعرت بحزن شديد من معرفتها لطبيعة الانسان التي اخبرها بها الحصان ولكنها قررت ان تتحدث بانفتاح هذه المرة وقالت بعد ان خيم الصمت منذ ان انقطع الحصان عن الحديث،

"اود من كل حيوانات الحظيرة ان تصغي الى ما سأقوله، ربما انا لا اعلم ان كان لبقية الحيوانات القدرة على الكلام ولكن ما سمعته من الحصان منذ قليل لهو دليل قاطع على ان الجميع هنا يتكلمون مثلي، أليس هذا صحيح؟"

اجابها الجميع بالإيجاب الواحد تلو الاخر،

"بلى.. بلى....."

بعد ان خيم الصمت مرة اخرى تسللت كائنات اضافية اختبأت وراء القش وهما الفئران الرماديان والضفدع الاخضر والسلحفاة العجوز المعمرة، ولكن الجميع لم يشعروا بوجودهم ابداً، لأن الجميع ذهبت قلوبهم مع اليزا ويترقبون ما تنوي الحديث عنه خاصة بعد ان نالت انتباه الجميع، وعلى اية حال فأنه لم يكن لينتبه احد لقدوم الزائرين الجدد لما وجدوا عليه من صغر حجمهم بإستثناء السلحفاة العجوز فهي الوحيدة من بين الزائرين كبيرة الحجم ولكن هذا لا يعيق تسللها داخل الحظيرة من غير ان يشعر بها احد فبطئ حركتها يساعد من تخفيف صوت وقع قدميها، ولكن كل هذه الاشياء التي تحدثنا عنها لا تفكر بها الحيوانات فقط الانسان من يلاحظ تلك الاشياء البسيطة وربما يضجر منها ويتأس، وقف الجميع في محاجرهم وكلهم آذن صاغية وبدأت اليزا بالحديث قائلة،

"كل ما قاله الحصان هو محض حقيقة وانا اعلم بالأمر جيداً من قبل ان يخبرني به، الانسان كائن يحاول جاهداً ان يصبح مختلفاً عن طبيعته وهذا هو سبب تعاستنا وعدم العيش بسلام انها عدم القناعة كل ما يهمنا هو ان نصبح مختلفين عن اقراننا، وبذلك نضع القوانين التي نريدها حتى وان كانت خاطئة بغض النظر عن صحتها او خطأها وحينها نعاقب المخالفين لها ونشكو من عدم اتباعها بصورة صحيحة، أولم نضعها نحن بأنفسنا؟!، في كل مرة ارى انسان اتمنى لو انني اعيش حياته ولكن اعلم انه لن يحدث ذلك، فقط لو انني اعرف بماذا يفكر لماذا هو يفعل افعال شريرة؟ لماذا يحاول ان يغير العالم من حوله؟ كل ما يظنه انه يقوم بعمل جيد ولكن الحقيقة غير ذلك، انه يحاول التطور في كل شيء وعلى حساب اي شيء ولكن لا يعلم ان للتطور حد ان زاد فأنه يصبح سم قاتل، كل هذه الازعاجات والضغوطات وسخط الحياة والتعاسة وعدم تقبل الاخرين التي نشعر بها هي من جراء ما نتمسك بما يثير ازعاجنا ومطالبتنا بما هو اكبر من ان نحمله فوق عاتقنا، ان اي شيء نطالب به هو مسؤولية نلقيها على عاتقنا وهنالك احتمال كبير جداً ان تزيد من شقائنا وحين تكثر المسؤوليات نصبح في شقاء دائم لا يمكننا التخلص منه، نخترع اشياء نظن انها كفيلة بأن تجلب لنا السعادة وتمحوا الحزن، الحزن آآآه! جميعنا يرغب ان يعيش من غير حزن نحاول ان نقضي عليه بالمتعة والاشياء التي تزول بسرعة البرق من دون جدوى وسبب ذلك يعود الى ان الحزن هو جزء لا يتجزأ من فطرتنا انه كالعضو الاساسي في اجسامنا ان فقد تلاشت الحياة فيه، اما السعادة فما هي الا ثوب نرتديه فوق الحزن فقط لنحجبه من الظهور ولهذا الشيء نرى الحزن يعود بين الحين والاخر وما هي الا لحظات قليلة اسرع من البرق فأنه يعود مجدد، أتعلمون لماذا؟ عندما نضع عنا هذه الثياب ، لا بد من ان لا نخضع لأي قانون غير قانون الطبيعة لنعيش بسلام"

صمتت اليزا ولم يرد عليها الحصان هذه المرة لأنه علم ان رسالته قد نفذت في قلب اليزا او بالأحرى في قلب الانسان، من تحدث هو كلب تيرير قمحي اللون من وراء محجره بوجهه الطويل المتبلد وقال،

" ما شأننا نحن في كل هذا الهراء الذي تفوهتِ به يا ترى؟، أليس من المفترض ان توجهي هراءك هذا نحو الانسان؟ نحن نخضع لقانون الطبيعة بطبيعة الحال، والآن الدور عليكم انتم"

اجابته اليزا مشيرة بأصبعها نحو الكلب كأنها مدرسة تختار طالب وقالت،

"صحيح!، انها ملاحظة جيدة من الكلب تيرير ولكنني صغيرة كما يقولون لي وهذه الكلمة التي اسمعها في كل مرة ادخل فيها بنقاش مع احدهم، ولكن على اية حال فأن الانسان ما كان ليفهم ما تفوهت به من هراء، فقط الحيوانات هي من تستطيع ذلك، فكما تعلمون دوماً ما ينعتونكم بأن الحيوانات بلا عقول، ان هذه المقولة متداولة بيننا نحن، ولكن في كل يوم يتقدم وينمحي في حياتي اتأكد ان الانسان هو الكائن الوحيد الذي لا يملك عقل الا توافقونني الرأي؟"

اجابها الكلب تيرير فقط اما بقية الحيوانات فبقيت مصغية الا ما تقوله اليزا، حتى ربما انها استمتعت بهذا الحديث فلبثت صامتة وتنظر فقط، اما السلحفاة العجوز فلا زالت تتقدم خطوة اثر خطوة وترجوا انها تصل في الوقت المناسب لأليزا لكي تنظم الى الحديث الذي يجري فلديها الكثير لتقوله لها،

"سيكون من دواعِ سرورنا ان نوافقك الرأي، ان ما يثير سخطي عليهم بشكل كبير هو ادعائهم لتحقيق العدالة في كل شيء بينما ما يقولوه لا يتعدى حجم ذرة الغبار المتطاير، يحاولون ان يصبحوا آلهة كالآلهة! اجل كل شخص منكم يحاول ان يصبح إله يحب العدالة على جميع الكائنات، والجميع يظن نفسه انه يحقق العدالة وينشر الخير ويمحو السوء من هذه الحياة، الجميع يظن انه يعمل ما هو صحيح وانه على حق تماماً وغيره يعمل ما هو منافي لقوانين الطبيعة وانه خاطئ، حتى لو وجدت الآلهة فعلاً فعندما يرون ان الانسان جميعهم يود ان يصبح هو أيضاً إله قرروا ان يتنحون جانباً وان يستغني عن مناصبهم وينظرون لكم فقط، ورغم كل ما يقوم به وفي نهاية الامر يتذمر ويحاول ان يدعون ان يصلحوا له حياته، ياللعجب! ما هذه الوقاحة! هل ما اقوله خاطئ يا صغيرة؟ اخبريني ان كان كلامي خطأ، فأنا اتقبل اي شيء من متحدثي واحترم الحوار،"

قالت اليزا،

"شكراً جزيلاً لك تيرير على مداخلتك القيمة، سأخبركم بمصطلح ربما هو جديد بالنسبة اليكم، نحن نضع مصطلح البطل نصب اعيننا! ربما هذا المصطلح يذكر لكم لأول مرة! لأن لا احد منكم يحاول ان يصبح بطل حتى الاسد ملك الغابة نحن من

اطلقنا عليه هذه التسمية كل شيء في هذه الحياة نحن اعطيناها أسماء بل نحن من اخترع اللغة فكل شيء هو عبارة عن لغة ولكن حقيقة الامر ان كل شيء هو لا شيء، اما بالنسبة للأسد ان جئت الى واقع الامر فهو سيرفض هذه التسمية قطعاً، يمكنني ان اسئله في يوم ما اذا رأيته واتأكد من ذلك ولكني فعلاً اعرف اجابته مسبقاً، هذا غير مهم الآن، ما هو اهم ما اريد ان اخبركم به، ان علينا نحن الذين نسعى لأن نكون ابطال يجب ان نضع الاحباط في عين الاعتبار لأننا سنواجهه في يوم ما وعلينا تقبله والا أُصبّنا بالجنون،"

تألمت اليزا وجرحت من داخلها ولكن لا بد لها من ان تخرج كل ما يعتمل في سريرتها لأنها لا تستطيع البوح بذلك لأي كائن من نوعها وكانت الحيوانات التي تتكلم هي هدية هبطت عليها من السماء، ربما سيكونون جميعاً علاقة صداقة في ما بينهم،

هذا ما شعرت به اليزا والحزن بادٍ على وجهها الشاحب وبدأت تتحدث وقالت،

"يا جماعة انتم لا تعلمون ماذا يحدث لي من داخلي، انا اعاني حرفياً في كل يوم يمر عليّ لي به معاناة لا يمكن لأحد ان يتخيلها، دوماً احاول ان اكون مختلفة عن البقية واكون مميزة في جميع تفاصيلي، في مشيتي.. إيماءتي.. تحيتي التي القيها.. طريقة حديثي.. كيفية تعاملي مع الاخرين.. طريقة تناولي للطعام.. وضعية نومي، احاول جاهدةً ان اكون متفردة بذاتي وان لا يكون هنالك اي انسان اخر يشبهني على هذه الارض وهذا الشيء لا يعد غطرسة من جانبي على العكس من ذلك فهذا الشيء من وجهة نظري الشيء الصحيح الذي لا عيب فيه أبداً لا يهمني ان دعوني بالمتغطرسة فذلك يشعرني بالسعادة انها وجهة نظرهم لا يمكن ان اقف امامها ولكن تلك الكلمة لا تزعجني بعكس ذلك فهي تزيد من غروري وتجعلني افعل المزيد والمزيد، وعلى الرغم من كل ما افعله لأكون انسانة استثنائية الا انني لغاية الان لا استطيع ان اتخلص من قشرتي القديمة التي تعودت عليها، اريد فعلاً ان اصبح انسانة حقيقية تسير وفق طبيعتها كما تفعلون انتم اريد ان اصبح مثلكم ان اكون على طبيعتي التي وجدت عليها، انا فعلاً اعاني.. اعاني من وجودي في هذه الحياة"

صمتت اليزا ثم اضافت،

" انا اشعر بالحزن اتألم من اعماق قلبي لما اراه من افعالنا التي تتجه نحو الهاوية وعندما ينتابني هذا الشعور احاول ان اغمض عيني واتخيل الاشياء الجميلة، التي من الممكن ان تُحدث عكس ذلك، فيزول الالم واشعر بغبطة يخفق لها قلبي ويتراقص بين اضلاعي، ولكن بعد ان افتح عيني اعود الى الواقع المرير واتذكر بأن هذه الاشياء لن تحدث الا بمعجزة، حينئذ يزيد الشعور بالألم الى الضعف، ياللهول!، كنت احاول اشتت انتباهي عن الواقع المرير من خلال قراءة الروايات والدخول الى عالم الخيال الواسع ولكن حين انتهي من القراءة وارفع نظري مرة اخرى نحو العالم الحقيقي يعاود الالم مفعوله مرة اخرى، هل تعلمون ان هنالك العديد من الطرق للهروب من

واقع الحياة قمت بتجربتها جميعها ووجدتها انها مؤقتة وتزول بسرعة، كل ما عليّ اخباركم به وبما وجدته من حل من الممكن ان ادعوه بحل، هو مواجهة الحياة من غير اللجوء لهذه الطرق،"

اغرورقت عينيها بالدموع، غطت اليزا وجهها بيديها واجهشت بالبكاء حتى بللت يديها شعرت الحيوانات بالحزن لرؤيتها تبكي بحزن عميق نظرا الى صغر سنها، تفاجأت جميع الحيوانات بحسها المرهف ولم يصدقوا انها انسان وقام الكلب تيرير بالتساؤل موجهاً كلامه نحو اليزا وقال،

"كيف لكِ ان تتحدثي بهذا العمق ايتها الصغيرة؟ ومن اين لك هذا الاحساس المرهف واللطافة التي تحملينها، انت صغيرة بالسن على ان تتكلمي كلام عظيم مثل هذا! لا شك ان العظمة التي تحملينها هي عظمة ما في داخلك ومن يمتلك هذه العظمة بداخله سيتمكن من اعادة الحياة، اعادة ترتيب الى كل ما هو جميل، فعلاً انا مصدوم منك ايتها الصغيرة وبدأت احبك! واظن ان جميع من في الحظيرة بدأ يحبك، فأنكِ تختلفين عن الانسان الحقيقي بصورة جذرية هذا ما اراه فيك فعلاً، من الأن فصاعدا ستصبحين صديقة الحظيرة والكل موافق أليس كذلك؟"

وافق الجميع على اقتراح الكلب تيرير، على الرغم ما اخبرت اليزا به حيوانات حضيرتهم الا ان ما تظنه في بعض الاحيان غير ذلك او ربما ليس ما تظنه ففي بعض الاحيان يكبر هذا الشيء داخلها ويصبح محض حقيقة وفي بعض الاحيان يصغر ويصبح هراء، والآن جاء دور السلحفاة العجوز المعمرة لأنها وصلت أخيراً الى ارض المعركة.

***

الفصل الخامس

السلحفاة العجوز المعمرة

تقدمت السلحفاة العجوز المعمرة تمشي بتثاقل مميت متوجهة نحو المكان الذي تقف فيه اليزا، وعندما توقفت رفعت عنقها المجعد مصدرة صوت حشرجة، وتنحنحت بواسطة حنجرتها لتزيل السوائل اللزجة حولها لتسمح للهواء بالمرور بسهولة، مما يتيح لها صوت عذب ونقي بقدر الامكان،

"انا اسفة جداً! فصوتي لم يعد نقياً كما كان من قبل، ولكن هذا لا يهم الان يمكنني ان اكون سعيدة لأنني استطيع الكلام لغاية الان، لقد تعودت ان اكون ممتنة كل صباح لأنني ما أزال على قيد الحياة"

وجهة حديثها نحو اليزا وقالت،

"لقد سمعت كل حديثكِ منذ قليل يا صغيرتي وانا لا ألومكِ أبداً، فأنا عشت قرون كثيرة واتاح لي هذا العمر المديد الكثير من الحكمة لكي اتقبل اي حديث يدور، ولكن إذا سألتني إنه اذا اتيح لي ان اعيش حياتي مرة اخرى إن كانت على نفس الوتيرة او غيرها فهذا الشيء هو ضرب من الجنون، افضل ان اذهب الى العدم هذا الأمر يجعلني سعيدة لأن الحياة متعبة بلا شك حتى ان عشتها براحة تامة، كل شيء داخلها متعب بغض النظر عن حديثكم عن الانسان فهو جزء منها فقط، ولكنه يبقى السبب الرئيسي للمشاكل فيها لا أنكر ذلك، ولهذا وخلال مدة حياتي الطويلة وبعد مرور قرن بعد قرن افكر ان انهي حياتي واحاول ان ارمي نفسي وسط المخاطر المميتة ولكن في كل مرة انجو، ومن غير ان اخدع ذاتي ومن حولي فيمكنني ان افسر نجاتي في كل مرة الى مدى جبني وخوفي، ولكن أتساءل عن ماهية هذه الحالة التي عليها نحن، وخوفنا من ان نموت وعلى الرغم من ذلك وفي بعض الاحيان نفكر بالإقدام على الانتحار؟!،"

صمتت السلحفاة مطرقة برأسها نحو الاسفل بعد ان شعرت بالوهن قليلاً ثم رفعت رأسها وبدى على فمها ابتسامة ماكرة وقالت

"هل صدقت ما قلته يا سيدتي من المؤكد ذلك، ما قلته ليس من طبيعتنا نحن بل هذه الأشياء هي من طبيعتكم فهل رأيتي في يوم ما حيوان اقدم على الانتحار او نبات؟هذا الشيء لا يوجد البتة، نحن نعيش وفق قانون الطبيعة وهذا القانون يتيح لنا ان نستبدل الى الابد كما تستبدل أوراق الأشجار، وقانون الطبيعية يسري عليكم انتم ايضاً ولكن لا تريدوا ان تصدقوا"

ثم صمتت السلحفاة منتظرة إجابة الفتاة

همت اليزا بالتحدث للسلحفاة العجوز وقالت،

"اعلمي ايتها السلحفاة العجوز انك تكلمت عن الانتحار، هنالك علاقة وثيقة وسرية بين الاقدام على الانتحار وبين القدرة للبقاء على قيد الحياة وايضا هنالك سر رهيب لا احد يقدر على سبر اغواره ابدا ولكني اتطلع الى الوصول ولو الى جزء بسيط جدا من

ذلك السر ودائماً ما اتساءل واطرح الاف الاسئلة التي تدور في رأسي لماذا انا لا ازال على قيد الحياة، وما هي الغاية المرجوة من ذلك، او بالأحرى لماذا جميعنا لا نزال على قيد الحياة؟!، والسؤال الاكثر اهمية من ذلك هو لماذا هذا تعاقب الاجيال لماذا انجبني والداي لهذه الحياة ما الغاية من ذلك ولماذا انا سأنجب الاولاد ولماذا اولادي سينجبون الاولاد؟!... وهكذا الى النهاية التي لن اصلها ابدا، لا اعرف ان اجيب على جميع هذه التساؤلات، تسخير متطلبات الحياة والعيش متوفرة لمن يرجوها لبقائنا على قيد الحياة ولكن لماذا نبقا على قيد الحياة لماذا هذا بالذات؟!، لماذا لا يدعونا نختار ان اردنا الوجود في هذه الحياة او لا؟! كان من الممكن ان اختار ان لا اوجد أبداً!، ولماذا ايضاً نموت من غير ان يخيروننا بالبقاء او الرحيل؟! ان كان وجودنا هو ليس من اختيارنا لماذا يكون رحيلنا ايضاً كذلك؟ ما هي الغاية من ذلك ايضا؟ هنالك اسئلة لا تعد ولا تحصى في قلبي اريد ان اسألها، هل سأل احدكم نفسه في يوم ما لماذا هو موجود اصلا وما هي الغاية من وجوده؟ هنالك النذر اليسير فقط من قام به ولكن لا بد لكل شخص ان يسأل نفسه مثل هذا السؤال على الاقل في اليوم مرة واحدة حتى من غير ان يصدر صوت او ان يتكلف عناء تحريك شفتيه ولسانه لكي لا يجعلكم في حالة من الارهاق لأن مثل هذه الاسئلة تتعب اجسامكم اكثر ما تتعب تفكيركم واقول هذا للجميع بغض النظر عن الكائنات الاستثنائية، هل جربت ان تنتحرون في يوما ما وتنتهي حياتكم ولو لوقت ربما يكون لثانية او اجزاء الثانية؟ بالطبع الجواب سيكون كلا واكثر من ذلك فالجميع لم يخطر على باله مثل ذلك التفكير،!وهنالك من هم ينفرون من التحدث في الموت من الاساس ويبغضون الذي يتحدث فيه، لا احد الى الان بإستطاعته تقبل فكرة او حقيقة انه سيموت في يوم ما على الاقل والجميع من لديه فكرة انه اذا انجب اولاد وخاصة من الذكور فأنه سيتخلد في هذه الحياة ولن ينقطع ذكره بعد رحيله منها هذه بالنسبة للإنسان، ولكنه لا يعلم ان الذاكرة لا تتعدى اسم الجد الثالث بأقصى حد، يا له من تفكير ساذج او بالأصح يا له من انسان ساذج حقا انها الحقيقة الوحيدة الغير متقبلة فكرياً، انه سيموت لا محالة اما الكاتب فهل يستطيع ان يخبركم عن حقيقة الامر وليس فقط الكاتب هل يستطيع اي انسان ان يخبركم بحقيقة الامر، ان كان يعرف حقيقة الامر، هل لأحد ان يخبركم ان كان للإنتحار وانهاء الحياة وفوائده! وهل ينفع الانتحار فعلا لمعرفة حقيقة الامر؟ كم من الانسان من اقبل على الانتحار هل تعلمون هذا الامر السخيف فعلا انه امر سخيف للغاية وايضا انه اكثر سذاجة من الذين يبقون متشبثين في الحياة اكثر بكثير ويعود ذلك الى كمية المنفعة العائدة من وراء هذا الفعل الساذج، انا آسفة ايتها السلحفاة على حديثي بهذه الطريقة الانتقادية ولكنها الحقيقة؛ والاكثر سذاجة بأضعاف مضاعفة هم من ينتقدون المنتحرين، ولي ان اسألهم سؤال ليعيدوا تفكيرهم في ذلك الانتقاد ومن بينهم انا أيضاً، وهو ان عدل المنتحر عن اتخاذ قراره في انهاء حياته في اللحظات الاخيرة ماذا سيتحتم عليه ان يقدم ويضيف الى هذه الحياة؟ بماذا سينفع ذلك؟ وهل سينتفع بذلك وينفع غيره من إنسان غيره؟ هذا ما سيخبرك به اصحاب الفضيلة سيخبرونا ان الغاية

من الحياة هو ما تقدمه لها من اشياء لربما تكون مادية ومعنوية في نفس الوقت ولكن هل سأل المتحدث نفسه ما هي فائدة تقديم هذه الأشياء الى الحياة؟! ولكن هذا ليس هو موضوعنا الاساسي الذي نتحدث عنه انها دائرة مفرغة كبيرة لا نهاية لها سنظل ندور حولها وندور ليس لها نهاية وحد ابداً هذا ما توصلت اليه في نهاية المطاف انها حلقة لا نهائية من الدوران حول شيء لا يمكنك ان تعرف ماهيته ؛"

"عجباً! هذا كلام كبير بالنسبة لعمر الصبية الصغير"

حدثت السلحفاة العجوز نفسها ثم قالت لتنهي حديثها مع اليزا لأن الارهاق بدء واضحا على محياها،

" يجب ان نموت يا صغيرتي!، ماذا سيحدث لو لم يموت احداً من الكائنات على الارض ابداً؟ تبقى بالتكاثر والتكاثر الى ما لا نهاية، تبقى النباتات بالظهور والاعشاب بالنمو والتكاثر، والحيوانات كذلك والأنسان ايضاً، ماذا سيحصل برأيك؟ هذا ما يجب على اي كائن ان يسأل به نفسه اذا تبرم وتذمر من موت احد اقرانه، والديه.. اشقائه.. اصدقائه او اي كائن يكن له الحب، سوف لن يبقى هنالك مسافة لكي يعيش فيها من يولدون حديثاً، ولن يتبقى طعاما كافيا، ستعم الفوضى، سيأكل احدهم الاخر لا مناص في ذلك، فيجب تقبل الموت والحياة الجديدة، لأنه سيستبدلون بكائنات أخرى ربما ستعيشين بجسد حيوان او نبات او أي شيء حسب نواياك، وتقبل فكرة تناقضات وازدواجية الطبيعة التي انتم تعتبرونها تناقض وازدواجية اما حقيقة الامر فأن كل شيء سوي لا وجود للتناقضات والازدواجية في الطبيعة فالخير هو نفسه الشر والنور هو نفسه الظلام والفرح هو نفسه الحزن وهكذا ... "

بدأت اليزا تعي حقيقة الامر قليلاً بعد حديثها مع السلحفاة العجوز،...

ماذا يريد الإنسان؟!، هذا ما ارادت حيوانات الحضيرة معرفته واليزا والجميع ايضاً، ماذا يريد الانسان؟ انه سؤال يحير القلوب! ويجعلنا في تناقضات مستمرة الى النهاية، لم يعلم لغاية الان اي كائن ما هي غاية الانسان، وماذا هو هدفه النهائي، وحتى إن علم احدهم، فليس هنالك مبرر واضح لوجود الكائنات وهدف وجودهم بالنسبة للأنسان، وهذا هو السبب الرئيسي وراء معانات الانسان،...

***

الفصل السادس

نبوءة وحكمة الضفدع الناسك

تقدم الضفدع بثلاثة قفزات، وقف بجانب اليزا وهي تشعر الان بإحباط شديد بسبب طبيعة الانسان المحفزة للشر، اليزا ترجوا دوماً ان تعرف حقيقة الامر، ليس فقط عن طبيعة الكائنات ووجودها وانما وجود هذه الحياة من الاساس، حتى ان كانت الحقيقة على شكل حلم او ان يهمس احد في اذنها او اي طريق يمكنها به ان تعرفها،

في بداية حديث الضفدع، اخبر الجميع انه ضفدع ناسك!، ويحمل لهم نبوءة من الممكن ان تقلب احوال جميع الكائنات للأفضل، ثم وجه كلامه لإليزا بصوت مبحوح وقال،

"يبدو عليك الاحباط يا صغيرتي، ولكن لا بأس، ربما ما كنتي تريدينه ان يتحقق ويبدو بعيداً لكِ اشعر بوجوده قريباً بالنسبة لي، انا لا ادعي التفاؤل الزائف ولا اقول انها الحقيقة الخالصة، حتى لا اريد من الجميع ان يصدقوا ما اود قوله، فأن صدق احد او لا فذلك لن يغير شيئاً من الواقع، سأبسط لكم حكمة الوعي وقوانين الطبيعة كالتالي"

زفر الضفدع الحكيم زفرة وبدأ حديثه،

سأوجه كلامي هذه انحو الانسان فكما يعلم الجميع فهو الكائن الوحيد الذي لا يعيش وفق طبيعته،

"إذاً الالم والمعاناة في هذه الحياة للكائنات جميعاً وبشكل اكثر خصوصية للإنسان، هو ليس بفعل شيء خارجي او غير مألوف فكل شيء يجلب المعاناة، كل شيء هو نابعة من الداخل نفسه، وبالتالي فأن معاناته لا تتعدى دخيلته، كالسطح المستوي!، اكبر صنوف الآلام والمعاناة يمكن ان تنتهي بمجرد ان يتصالح مع ذاته، لا اقصد ان نأخذ كل الم ومعاناة على انها مسلمة لا بد من حدوثها، هذا الشيء قد يزيد من الالم والمعاناة ربما بأضعاف وقد تسوء حالته، تستنزف قواه الداخلية شيئاً فشيئاً، اما تقبل المصير فأنه نوع من انواع الاستسلام،"

"عندما يحين الوقت سيندم الانسان على اللحظات التي قضاها في قلق، لأن الحياة تنقض بسرعة البرق، لن تشعر بزمن عبورك من خلالها وايضاً لن تشعر خلال خروجك منها،"

"قبل ان نجد غاية الوجود يجب ان نجد غاية اي فعل نقوم به، وقبل ان ندرك معنى الحياة يجب ان نجد معنى اي فعل نقوم به، يجب ان لا نخلط بين تشتيت الانتباه وبين اللامبالاة وأيضاً هنالك نوعين من اللامبالاة، هي اللامبالاة بكل شيء يدور والثانية ان

تتقصد اللامبالاة ولكن ليس كل شيء حولك فهنالك اشياء يجب ان تحاط بهالة من الاهتمام، ولكن ما اقصده هو السخرية والتهكم بالمواقف الاكثر صعوبة والتناقضات الاكثر فتكا بالإنسان!، هذه هي النبوءة التي اتكلم عنها، والفرق بين الاثنين الاولى لا يعلم لماذا هو غير مبالي بينما الاخيرة يعلم لماذا هو غير مبالي، هذا هو جوهر نبوءتي،"

" ليس ذلك فقط ما يثير حفيظة الانسان فمشكلاته ليس لها نهاية وجميعها ناتجة عن الخوف!، احدها التعلق في الماضي والآخر الخوف من المستقبل، فالجميع يلعن المستقبل الذي لم يأتي بعد، وهو بمثابة الوحش المرعب بالنسبة لهم ومشكلتهم الكبرى التي لم يجدوا لها حل، اما من لا يريد معرفته فأنه يحشر نفسه رغماً عنهم، حتى ان اراد شخص التخلص منه فأنه يتخلص منه خارجيا وليس داخلياً فهو جزء من الداخل، كل شيء ينبع من الداخل لا يمكن التخلص منه فقط بواسطة نبوءتي! فذلك ممكن، اهتموا بالحاضر لا توجد هنالك لحضة غير هذه، الآن فقط لا غيرها، على الانسان ان يعيش هذه اللحضة التي لا توجد غيرها"

" وقت الفراغ، فأن كان هنالك وقت فراغ خلال يومه سيختلق المشكلات له ولغيره حتماً، وسيؤدي ذلك ايضاً الى الم ومعاناة جديدة، فالعمل والبحث هما الجوهر في هذه الحالة، ان توقف الإنسان عن العمل والبحث سيصاب بالملل لا مناص في ذلك،"

"الوعي! اقصد زيادة الوعي، فهنالك تناسب طردي بين زيادة الوعي وبين رحيلهم من الحياة فكلما زاد وعي الانسان زاد عذابه وبالتالي ستستنزف طاقته، انه العذاب الحقيقي للإنسان اذا لم يكن لا مبالياً "

"الرغبات رغبة الانسان التي لا تنقطع انه امر طبيعي ان يرغب الانسان ولكن الرغبة اذا لم تكبح جماحها فأنها تؤدي به الى الامتلاك والامتلاك يؤدي الى الجريمة، لا أقول ان لا ترغب بالمطلق او ان تعيش بتقشف على العكس استمتع بكل ما هو جميل في هذه الطبيعة لأنك اذا كبت الرغبة فأنت لا تكبحها وانما تزيد الامر سوءاً فأنت تؤجلها فقط وحينها ستظهر بشكل اكبر من السابق"

"الفضيلة وافتعال العكس اجل، انا اقولها افتعال لأن برأيي ليس هنالك تناقضات في هذه الحياة، لأن الفضيلة هي ايضاً فطرية لدى الإنسان وكذلك نقيضها وهذا ما يجعل التناقضات وسيلة للمتبرم، الفضيلة هي الهدف الاساسي من هذه الحياة، فاذا اراد احد معرفة سبب وجوده في هذه الحياة؟ فالجواب هو الفضيلة! يجب ان نفتعل الفضيلة ونجعلها السبب والنتيجة معاً، انها الغاية الاسمى للوجود، يجب ان نعيش لكي نحقق اقصى درجات ممكن ان نصل اليها من الفضيلة لكي لا نعيش في جحيم، فتخيلوا ان لم يكن هنالك احد يفتعل الفضيلة، من المؤكد اننا سنعيش في جحيم دائم... "،.

"كل ما يخلقه الانسان هو ما يجعله يعاني حرفياً فقط الطبيعة هي ما تجعله في حالة نشوة مستمرة"

"الوصول الى الحقيقة هي قطعة حجر تسقط في نهر، تكون امواج نهايتها حافة النهر تختفي عنده فأقول لكم اختفوا كالموجة "
"افعل اللا فعل كن على طبيعتك مثل الحيوان يأكل عندنا يجوع ويتكاثر عندما يحين موعد التزاوج وينام عندما يحتاج لذلك كن مثل النباتات ثابتة لا تتحرك ولكن داخلها يعمل كل ما هو طبيعي هذا ما يجب ان تكون عليه"
"التعلم مفيد لتسهيل حياتنا اليومية ولكن اذا زاد عن حده اصبح سم قاتل ، تعلم فقط ان تبقى على قيد الحياة"
"ان تدرك الحقيقة هو اصعب شيء وفي نفس الوقت هي أسهل شيء ممكن ان تصل اليه فهي مرحلة تحول وعبور صحوة وانتباه لا تصل اليها تدريجياً او عن طريق تمرين او تدريب يمكن الوصول اليها عندما تدرك ان كل ازدواجية في الحياة او ما ندعوها بأزدواجية كالشر والخير ، الظلام والنور ، الموت والحياة ، الحزن والفرح هي شيء واحد فكيف يمكنك ان تدرك الاول من غير وجود الآخر هذا هو السر"
"افضل معلم هو انت فأذا تعلمت من معلم غير نفسك فأنك تقتبس من المعلم وتصبح تابع له فلا تدع احد يعلمك"
"تدرب ان تكون بمفردك وبذلك ستجد الاجوبة بداخلك فمعظم الاشخاص يخافون البقاء بمفردهم لأنهم يخافون الحقيقة"
"كل ما تعرفه في هذه الحياة هي مجرد اللغة فعندما تؤشر على شجرة وتدعوها ب "شجرة" فأنك سميتها شجرة ولكن حقيقتها غير اسمها فأذا اردت ان تدعوها بأسم فأدعوه ب "اللا شيء" فكل شيء هو لا شيء"
"كل شيء تراه حولك هو من تفسير حواسك له فكل شيء تنظر اليه او تسمعه او تشمه او تتذوقه او تلمسه هو موجود بالنسبة للحواس فقط فأذا وضعتك داخل غرفة وقطعت لك اعصاب الحواس الخمسة فكيف ستدرك انك موجود بهذا العالم يمكنك ادراكه فقط داخل ذاتك لأن لك تجربة سابقة قبل قطع الحواس فأقطع حواسك وانظر بذاتك سترجع كالطفل قبل ان يدرك انه موجود في هذه الحياة"
"ان تكون كالطفل حاول ولكن حواسك ستمنعك من ذلك رغباتك ستكبح داخلك من الخروج تمنعك من ان تعود بريئاً نقياً كقطرة ماء عذبة"
"انظر الى كل شيء على انه لا شيء فهذا هو الشيء بحد ذاته"
"تعلم الاشياء التي تبقيك على قيد الحياة فقط"
"انت لا تعرف شيء مهما تعلمت من معارف الوحيدون الذين يعرفون هم من لا يعرفون شيء"
"لا يوجد شيء يقيني . آوه لقد ايقنت انه لا يوجد شيء يقيني!، هل تتابعون معي؟"
"ان تنتقد و تحكم على الآخرين فأنك تنتقد وتحكم على نفسك فالجميع جزء من الطبيعة انت ترى هذا الشيء لونه ابيض وغيرك يراه لونه اسود وانا أقول لكم انظر بعين قلبك سترى الحقيقة"
"ان تنفي هو معناه ان تثبت اي كل شيء تنفيه فأنت تثبته وبالعكس"

"لا تفعل ما لا تود ان يفعل بك ،هذا هو قانون الطبيعة"
"لا تفعل الاشياء التي تؤذيك وتؤذي الآخرين، فأن تؤذي احد فالطبيعة كفيلة بأن تقتص منك سيرتد عليك كل شيء بالمثل ، تأكد من ذلك"
"اذا كنت متزوج ولديك اولاد لا تجبرهم على تعلم ما تعلمته ان المجتمع الذي تعيش فيه كفيل بأن يغسل عقولهم قبل ان تغسله انت ان قبلت او رفضت فمن الممكن ان تشق لهم طريق الحقيقة حتى مع بقائك صامتاً"
"استمع لموسيقى الطبيعة تجعلك تفهم ذاتك وتفرغ داخلك فأذا فرغ داخلك تكشفت لك الحقيقة"
"استمتع بكل شيء لديكم ، الطبيعة ، الموسيقى ، الرسم ، الشعر ..."
"العب مع اولادك كأنك في سنهم"
"ابق صامتاً ولا تتفوه بأي كلمة الا للضرورة او اذا كان ما يخرج منك كلام كالماء الذي يسقي الزرع"
"تذكر دائماً انك جزء من الطبيعة فأندمج معها وانسى ذاتك هناك تجد السعادة التي تنشدها"
"وجود الإله فكرة والفكرة لا توجد الا داخلك فوجوده مرتبط بوجود الفكرة داخلك"
"لا تؤمن بأي شيء حتى بما اقوله لك، فأنا لا اريدك ان تؤمن فأن تؤمن يعني ان تعتقد والأعتقاد هو التكهن ولا يمكن اثبات أي من هذه المصطلحات حتى وان اختبرتها"
"كل شيء حولك هو وعي فوعيك هو كل شيء"
"كل شيء تراه هو وعي تعيه بوعيك"
"لا تحاول ان تتعلم شيء من شخص آخر فالحقيقة يمكن ان تكتشفها بذاتك فأن تتعلم شيء من شخص آخر فأنت تقتبس منه تخزن افكار غيرك والا فالطبيعة كفيلة بأن تعلمك كل شيء"
"ان تكبر وتشيخ !كالشجرة عندما تثمر فلا بد من ان تسقط ثمارك يوماً ما"
"ان ادركت انك انت وعيك وان الوعي الذي تدركه هو وعيك وانه عندما تنظر الى اي شيء هو صورة لوعيك فأنك حرفياً ستختبر وعيك الحقيقي"
"لا توجد لدي قدرة التحدث عن الموت والولادة فلا شيء من هذه الاشياء اختبرته ولكن يمكنني ان اخبرك ان قانون الطبيعة سيستبدلك كما تستبدل كل الأشياء من حولك"
"ان تعيش ماضيك ومستقبلك هذه هي التعاسة الخالصة ليس لديك غير الآن اللحضة الحاضرة ولا شيء غير ذلك"
"ان تكره كائن معين فأنت تكره نفسك فكل شئ يقع عليه نظرك هو انت ، كل شيء حي حتى الأشياء الغير حية هي صورة عنك"
"اي مصطلح لغوي ومن ضمنها الوقت او الزمن او اي ما تدعوه هو من مخيلة الانسان فكل مصطلح لغوي ادعوه ب "اللا شيء" "
"اي شئ تعرفه بالتعلم لا يمكن اثباته وحتى لو اثبته بالاختبار لأنه مجرد لا شيء"

"لا توجد هنالك حقيقة غير وعيك الوعي هو الشيء واللا شيء"
"انت والكون كقطرة ماء تسقط في نهر"
"لا تكبح الرغبة ولكن كن لا مبالياً امامها فأن تكبح يعني ان تؤجل فما تكبحه تؤجله لحين آخر وسوف تعود بشكل اكبر"
"كل شيء صنعه الانسان بوعيه حتى الطبيعة"
"ما يقاومك انت تقاومه، وما تقاوم الا ذاتك"
"انت كالنهر الجاري لا تحاول ايقاف تدفقه"
"الاشياء الجميلة تحدث اثناء العزلة والصفاء"
"يمكنك ان تختبر نشوة الجنس بكل جزء من جسدك الا اذا اردت انت ذلك"
"المصطلح الذي تدعوه في اللغة السعادة او النشوة او اي شيء نطلقه عليها هي ان تكون بمفردك وتنساب الافكار بعقلك دون ان تمسكها او ان تتفاعل معها"
"ان حزنت لا تحزن بأفراط وان فرحت لا تفرح بأفراط"
"ستخضع لقوانين المجتمع ان كنت تؤمن بشئ او لا تؤمن بشيء، الا اذا خضعت لقوانين الطبيعة فهذه هي الحرية المطلقة"
"ارادتك هي ارادة الطبيعة فلا تحاول التلاعب بها"
"قوانين الطبيعة ثابتة فأبقى معها تعيش بسلام وان تركتها ستشعر بالبؤس"
"كل الاشياء تكبر وتشيخ الا الوعي فأنه يبقى الى الابد"
"هنالك شيء اعظم من اي رغبات مادية التي تمدك بالسعادة المؤقتة هو سكون العقل وما يسمى بسكون العقل هو ليس اجباره على السكون وانما هو شيء لا يمكن تسميته بأي شيء هو اللاشيء هو عدم المشاركة بأي فكرة من افكار العقل ومراقبتها تمر من امامك كما تمر السحابة بهدوء وروية تراقبها كما تسقط ورقة من شجرة"
"اذا اردت ان تختبر السكون استيقظ مبكراً في الطبيعة سترى ان كل شيء في سكون مع وجود كل الأصوات ايضاً انت تستطيع ان تختبر السكون داخلك مثل سكون الطبيعة لأنك انت الطبيعة ذاتها"
"ان تدعوا نفسك بأنك الكائن الوحيد المختلف عن بقية الكائنات وانت هو الكائن الاسمى الذي يمتلك العقل فأنت مخطأ فكل كائن لديه عقله الخاص به وبذلك لن تستطيع العودة الى طبيعتك، الانسان هو الكائن الوحيد الذي لا يعيش وفق طبيعته"
"ليس هنالك تناقضات ولا ازدواجية في الطبيعة انت الذي ابتكرت هذه المصطلحات فكل شيء سوي في الطبيعة"
"ليس هنالك شيء يدعوا للغضب او الانفعال ، اغضب انفعل ولكن لا تمسكهما فأن حصلت ساعة الغضب او الانفعال دعهما يمران بكل هدوء من امامك راقبهما فقط"
"انت لا تعرف شيء مهما بلغت من مستويات سامية في المعرفة انت لا تزال لا تعرف شيء ، انت تدعي ، تعتقد انك تعرف والحقيقة انت لا تعرف اي شيء فكل شيء هو لا شيء"

"عندما تسمي اي شيء كأن يكون دولاباً او باب او كرسي فهذه المسميات اللغوية هي مجرد لغة انت اخترعتها والحقيقة تقول انها جميعاً "لا شيء" "
"ان لا يكون لديك اي شيء افضل من ان يكون لك شيء ، ان لا يكون لديك شيء لتهتم افضل بكثير من ان يكون لديك اشياء تهتم بها ، عليك ان تهتم لنفسك وسوف تباركك الطبيعة ، هذا ما يجب على الجميع ان يفعلوه"
"ان عدم الاهتمام او المبالاة او الاكتراث لها نتيجة واحدة وهي العزلة الاطمئنان الراحة السكون الثبات"
"الزواج ليس عقد يتم وفق صفقة معينة وشروط معينة على ورق ، الزواج له هدف واحد فقط في الطبيعة وهو التكاثر"
"كل نشوة، كالجنس والغذاء وغيرها هي خادعة للكائنات فقط ليستمروا بالتكاثر ليس الا ، النشوة الحقيقية هي الوعي الطبيعي معرفة من انت"
"اي رغبة كانت مادية جسدية او نفسية ذاتية تهرم وتشيخ، فقط الوصول الى الوعي"
"ان كان لك اولاد علمهم فقط كيف يبقون على قيد الحياة وغير ذلك فالطبيعة كفيلة بتعليمهم البقية"
"لا تفرح ان حققت انتصاراً ولا تحزن ان اخفقت فلا الحزن يدوم ولا الفرح يدوم ايضاً"
"كن بريئاً كبرائة الأطفال، البرائة هي الوعي الوعي هو اللا شيء اللاشيء هو ان تختفي"
"ستستبدل كما تستبدل اوراق الاشجار كن واثقاً"
"قانون الطبيعة هو قانون جميع الكائنات بما فيها الانسان"
"الحكمة هي قانون الطبيعة "
"عدم الشجاعة هو من يتخذ عائلته كجسد له اي يمحوا جسده ويذوب بأجساد اخرى لا تستطيع الاشتراك مع اجساد الآخرين انت تشترك بالوعي فقط وليس الجسد المادي فأذا اتخذت من الآخرين كدرع لك ستفقد الوصول الى الوعي الذي هو اصل الاشتراك"
"يجب ان تحب كل شئ يقع عليه بصرك بدون قيد او شرط هذا هو قانون الطبيعة هذا هو الوعي"
"لا توجد غير هذه الحياة ولا يوجد الثواب والعقاب قانون الطبيعة هو الذي يمتلك الحكمة"
"اذا اساء اليك شخص ما فلا ترد له الاساءة على العكس عامله بأحسان"
"قانون الطبيعة سيرد لك اساءتك بأساءة واحسانك بأحسان"
"الرغبة تؤدي الى الامتلاك والامتلاك يؤدي الى الجريمة، هذا ما يجب ان يأخذ بعين الاعتبار"

"الحزن الذي تشعر به نتيجة الرغبات والتعلق في الماضي والخوف من المستقبل ولكن انت لا تفكر في الحاضر الذي انت فيه انت وليد هذه اللحظة التي لا توجد غيرها"
"الجسد هو الذي يكبر ويشيخ اما الوعي لا يكبر ويبقى طفل بريء"
"اعطي دون ان تنتظر المقابل"
"كل كائن تراه هو انعكاس لك فما تفعل له من خير او شر فأنت تفعله بنفسك أي اذا قمت بخيانة شخص ما فأنت تخون نفسك، خلاصة القول انت السائر والطريق"
"من يخسر هو الرابح ومن يعطي هو الذي يكسب هذا هو قانون الطبيعة"
"اشعر بالنشوة من تدفق افكارك ولا تحاول اجبار عقلك على التوقف اجعل افكارك تنساب كما يتخلل المياه بين أصابع اليد"
"قانون الطبيعة لا يعرف التحيز"
"هذا هو الوعي هذه هي قوانين الطبيعة"

توقف الضفدع عن الكلام واستنشق الهواء بهدوء،

الضفدع الناسك تمكن من ان يصل الى ما ارادت اليزا ان تصل اليه، ولم تنطق اليزا بحرف منذ ان تكلم الضفدع الناسك، والتهمت كلامه بشكل جيد لأن هذا هو بالضبط ما ارادت ان تسمعه طوال حياتها الصغيرة، لم تعد تفكر بالتناقضات وسبب وجودها في الحياة، انتهى كل شيء بالنسبة لإليزا،...

في بعض الاحيان عندما تبدأ بحل المشكلات الصغيرة فأنك ستكتسب حكمة تجعل المشكلات الكبيرة لا شيء، هذا ما قام به الضفدع الناسك في حقيقة الامر، لم تعلم اليزا ما هي الغاية من الوجود ولكن حكمة الضفدع الناسك جعلتها تعلم كيف تتعامل مع الامر وكيف تواجه صعوبة تقبل وجود الحياة ووجودها في الحياة ووجود جميع الكائنات،

وفي النهاية هنالك اشياء جميلة تحدث مع الانسان وتحصل له في هذه الحياة هي موجودة في الاساس منذ البداية ولكن لم يعد يراها او لم ينتبه لوجودها هذا كل ما في الامر، تحجب رؤيتها اشياء غير ذي شأن، يظن انها تختبأ خلف ستار او انها ليست من حقه، يجب ترك الاشياء غير الضرورية التي تعكر صفاء قلبه وتفكيره وان يلتفت الى الجمال، حيث يمكن ملاحظته من خلال ابسط الاشياء فقط يدقق بالنظر من حوله او يعيد نظره على الشيء مرات عديدة سيكتشف ذلك بنفسه، الحياة هي عبارة عن قصص قصيرة تحدث للإنسان وهو يكتبها، يمكنه جعل نهايتها حزينة او سعيدة "

***

النهاية

طارق ثائر

7 April 2022